وضع أقسام علم النفس بكليات التربية
رؤية مُطورة مأمولة ودعوة للاتفاق

د. منى درويش (*)

ملخص:

يطرح المقال الراهن قضية مهمة بات حسمها ضرورة ملحة للارتقاء بمجال علم النفس في مصر بلد رواد علم النفس على المستوى العربي، ولتوحيد الجهود وعدم تبديدها فيما هو لا طائل منه، وغيرها العديد من الأسباب التي قد يأتي في مقدمتها الحفاظ على حقوق متلقي الخدمة من المرضى ومحتاجي الدعم النفسي في تلقي خدمة علاجية على أيدي متخصصين مهنيين ذوي تأهيل وتدريب أكاديمي وعلمي ومهني يرقى مستواه إلى حد التميز. في ضوء ذلك سعت الورقة الحالية إلى عرض وإيضاح رؤية مقترحة مأمولة لأقسام وتخصص علم النفس بوجه عام ولأقسام علم النفس بكليات التربية بوجه خاص، عبر عرض مختصر لتاريخ أقسام علم النفس بكليات التربية ثم واقعها الحالي الذي تمنينا من عرضه أن تصحح الصورة الذهنية الخاطئة الشائعة، وأن تُكون صورة جديدة صحيحة وحقيقية تؤدي إلى اتخاذ قرارات أكثر عدلًا وإنصافًا تبعُد عن التحيز والتعصب وتدعم مبدأ تكافؤ الفرص المتاحة أمام خريجي نفس الأقسام في كليات مختلفة وتُحقق التطوير والارتقاء المأمول بمجال علم النفس.

الكلمات المفتاحية: أقسام علم النفس – كليات التربية – رؤية مطورة – دعوة للاتفاق

(*) اخصائي نفسي إكلينيكي، واخصائي شئون تعليم بكلية الآداب – جامعة القاهرة.

State of Psychology Departments in Colleges of Education: Hoped Developed Vision & Agreement Call

Dr. Mona Darwish (*)

Abstract:

The current article presents important issue whose resolution has become an urgent necessity to advance the field of psychology in Egypt, the country of pioneers of psychology at the arab level, and to unify efforts and not waste them on what is useless, and many other reasons, the first of which may be to preserve the rights of service recipients, including patients and those in need to psychological support in receiving a therapeutic service by professional specialists with academic, scientific and professional qualifications and training that rise to the level of excellence. Through this, the current article presents and clarifies a proposed, hoped vision for psychology departments in general and for psychology departments in colleges of education in particular, through a brief presentation of the history of psychology departments in colleges of education and then their current reality, we hoped from presenting to correct the common wrong mental image, and to it creates a new, correct and true image that leads to making more just and equitable decisions that are free from bias and intolerance, supports the principle of equal opportunities available to graduates of the same departments in different colleges, and achieves the desired development and advancement in the field of psychology.

key words: Psychology departments – Colleges of Education – Developed vision – agreement call.

(*)**Clinical psychologist and educational affairs specialist, Faculty of Arts - Cairo University.**

مقدمة

بدأت دراسة علم النفس كتخصص في كليات الآداب في أوائل الستينيات؛ حيث كان تحت مسمى قسم علم النفس والاجتماع يتخصص فيه الطالب بعد السنة الثانية، إما في علم النفس وإما في علم الاجتماع، وكان ذلك في جامعة عين شمس، وفي جامعة القاهرة كان علم النفس مع الفلسفة في قسم واحد حتى أواخر الستينيات من القرن الماضي، أما كلية التربية فكانت هي الكلية الوحيدة التي بها قسم لعلم النفس حتى منتصف الستينيات من القرن الماضي وهي كلية للدراسات العليا فقط في أحد التخصصات التالية: أصول التربية، المناهج وطرق التدريس، الصحة النفسية، علم النفس.

كان إعداد المعلم يتم في كلية المعلمين التي كان يلتحق بها الطالب بعد حصوله على الثانوية العامة، وكانت تشتمل على التخصصات الآتية: اللغات، والدراسات الاجتماعية، والفلسفة، والجغرافيا، وكذلك التخصصات العلمية التي تضم الكيمياء، والفيزياء والبيولوجي، والرياضيات.

وحين تحولت كلية المعلمين إلى كلية التربية بجامعة عين شمس حافظت على تخصصات مرحلة الليسانس والبكالوريوس، وأضافت إليها التخصصات التي كانت موجودة بكلية التربية في الدراسات العليا والتي تشمل أصول التربية والمناهج وطرق التدريس والصحة النفسية وعلم النفس. وعلى غرارها نشأت العديد من كليات التربية في المحافظات المختلفة بالإضافة إلى كلية التربية بجامعة حلوان وكلية التربية بجامعة الأزهر وكليات البنات بجامعة عين شمس.

وشهد تطوير كليات التربية في السنوات الأخيرة تغييرًا في فلسفتها وفي مناهجها وفي تخصصاتها، فقد تم إنشاء قسم التربية الخاصة لطلاب الليسانس والبكالوريوس ليحصل منه الطالب على درجة البكالوريوس في التربية الخاصة، كما تم إنشاء قسم علم النفس ليحصل فيه الطالب على درجة الليسانس في علم

النفس مع ملاحظة أن المواد التي يدرسها الطالب في هذا القسم هي نفسها المواد التي يدرسها الطالب في قسم علم النفس بكلية الآداب.

قام قسم علم النفس بكليات التربية على أساتذة وعلماء منهم على سبيل المثال لا الحصر أ. د. عبد العزيز القوصي، أ. د. فؤاد أبو حطب، أ. د. فؤاد البهي السيد، أ. د. محمود السيد عبد الرحمن، أ. د. علي شعيب، وغيرهم الكثيرون ممن أثروا المعرفة النفسية في مصر والعالم العربي[١].

وهؤلاء بالطبع رواد قادوا مسيرة تخصص علم النفس في بداية نشأته وأسسوا له وأسهموا في بزوغه وارتقائه، فهم استثناءات، ويجوز لنا أن نشبههم برواد علم النفس في العالم الغربي على سبيل المثال سيجموند فرويد (طبيب)، وإيفان بافلوف (درس الفيزياء والرياضيات وعلم وظائف الأعضاء)، وفيكتور فرانكل (طبيب)، فهم يمثلون مرحلة مهمة وحيوية في تاريخ علم النفس ولهم منا كل احترام وتوقير وتبجيل.

الواقع الراهن

يشير الواقع الراهن إلى أن الأقسام بكليات التربية بالجامعات المختلفة يمكن أن تندرج تحت ثلاث فئات؛ أقسام علمية (رياضيات، بيولوجي، كيمياء.....)، وأقسام تربوية (أصول التربية، مناهج وطرق تدريس، تربية مقارنة.....)، وأقسام للغات (اللغة العربية، اللغة الإنجليزية، اللغة الألمانية.....)، ويقع قسم علم النفس ضمن الأقسام التربوية على الرغم من اختلافه عنها جميعها **<u>في عدة نقاط حيوية كما يلي:</u>**

[١] كتب هذا الجزء التاريخي أ.د على سليمان أستاذ علم النفس بكلية الدراسات العليا للتربية جامعة القاهرة.

أولًا قسم علم النفس به درجة جامعية أولى؛ حيث يقبل الطلاب الحاصلين على الثانوية العامة بشروط داخلية يحددها القسم والتنسيق الداخلي للكلية، وهذا لا ينطبق على باقي الأقسام التربوية؛ حيث لا يوجد بها درجة جامعية أولى وإنما برامج للدراسات العليا فقط.

ثانيًا تُدَرس الأقسام التربوية جميع مقرراتها لجميع أقسام الكلية (العلمية واللغات)، وهذا لا ينطبق على قسم علم النفس؛ حيث يُدرس القليل جدًا من مقرراته لجميع أقسام الكلية مثل علم النفس التربوي –مثلما يتم تدريس أفرع معينة من علم النفس لكليات أخرى على مستوى الجامعة– ولا يتم بالطبع تدريس باقي مقررات القسم أو أفرع علم النفس الأخرى مثل علم النفس العلاجي أو علم النفس الفسيولوجي لأقسام الكلية الأخرى من غير قسم علم النفس.

ثالثًا جميع مقررات الأقسام التربوية مقررات تربوية عامة تندرج تحت فروع ومجالات علم التربية الصرفة، وهذا لا ينطبق على قسم علم النفس؛ حيث إن مقرراته علمية تخصصية دقيقة، ولذلك لا يتم تدريس جميعها لباقي أقسام الكلية كما هو الحال بالنسبة للأقسام التربوية الأخرى.

وبناءً على ما سبق من الطبيعي والمنطقي أن تتيح الأقسام التربوية برامج الدراسات العليا بها لخريجي جميع الأقسام؛ حيث درسوا بالفعل مقرراتها عبر المرحلة الجامعية الأولى إلى جانب مواد التخصص بالقسم الذي ينتمون إليه، وهنا يظهر تساؤل في غاية الأهمية وهو كيف يتاح استكمال الدراسات العليا بقسم علم النفس لغير خريجي القسم وهم لم يدرسوا جميع مقرراته وليس لديهم المعرفة الأساسية بالتخصص والتي تُبنى عليها مقررات برامج الدراسات العليا.

ساعد الوضع السابق بالإضافة إلى عدم الإلمام بمعلومات كاملة وحقيقية عن أقسام علم النفس وما تُقدمه من مقررات بكليات التربية على تكوين بعض الأفكار المغلوطة وغير الصحيحة لدى بعضهم عن قسم علم النفس بكلية التربية وصلت إلى عدم معرفة بعضهم بأن قسم علم النفس بكلية التربية به درجة جامعية أولى أصلًا، **هذا بالإضافة إلى ما يلي من أفكار خاطئة بالكلية:**

- أن قسم علم النفس بكلية التربية لم يدرس جميع فروع علم النفس أو المقررات التي تدرسها أقسام علم النفس بالكليات الأخرى.
- أن طلاب قسم علم النفس بكليات التربية لم يتلقوا تدريبًا عمليّا على الأجهزة المستخدمة في قياس جوانب وأبعاد نفسية مختلفة.
- جميع من يحصلون على برامج الدراسات العليا والماجستير أو الدكتوراه من القسم لا ينتمون إلى قسم علم النفس في الأساس حيث إن درجاتهم العلمية الأولى تنتمي لتخصصات أخرى ولذلك فهم يفتقدون إلى المعرفة الأساسية بالتخصص.
- أن المستويات التي تُقدم بها المقررات تمثل الحد الأدنى من العمق بحيث تتناسب مع مستويات المعرفة لدى الطلاب الذين لا ينتمون إلى تخصص علم النفس في الأساس.

ولا أُخفي حزني الشديد وشعوري بالظلم عند سماعي لما سبق من أفكار جميعها غير صحيح على الإطلاق، ولذلك أود أن أنقل الصورة الحقيقية لقسم علم النفس بكلية التربية من واقع خبرتي الشخصية عبر دراستي في القسم بكلية التربية جامعة عين شمس، **ولعل السطور القادمة تساهم في دحض أو تعديل ما سبق من أفكار مغلوطة وخاطئة عن القسم:**

١- لا تقتصر مقررات قسم علم النفس بكلية التربية على فروع محدودة لعلم النفس مثل علم النفس التربوي فقط، بل يتم بالقسم دراسة مقررات تتعلق بالفروع المختلفة لعلم النفس، مثل علم النفس العلاجي، وعلم النفس المعرفي، وعلم النفس الفسيولوجي، وعلم نفس الشخصية.... إلخ، شأنه في ذلك شأن جميع أقسام علم النفس بالكليات الأخرى.

٢- يتلقى طلاب قسم علم النفس بكلية التربية مجموعة من التدريبات العملية (سكاشن) المتعلقة بالمقررات التي لها شق عملي تدريبي، ويوجد بالقسم معامل بها الأجهزة المختلفة والاختبارات والمقاييس المصممة لقياس جوانب وأبعاد نفسية.

٣- محتوى المقررات بالقسم على درجة كبيرة من العمق تتضمن الموضوعات الأساسية الخاصة بكل فرع من فروع علم النفس بما يتفق وطالب المرحلة الجامعية الأولى، فكيف لقسم أعلام ورواد علم النفس والعلاج النفسي في مصر والوطن العربي أمثال الأستاذ الدكتور فؤاد أبو حطب والأستاذ الدكتور عبد العزيز القوصي والأستاذ الدكتور صلاح مخيمر أن يكون غير ذلك أو أن يقدم مستوى أدنى من العلم.

٤- طلاب قسم علم النفس بكلية التربية عند إنهائهم المرحلة الجامعية الأولى يستطيعون الالتحاق ببرامج الدراسات العليا بأحد ثلاثة أقسام ذات الصلة بالتخصص؛ إما قسم علم النفس أو قسم الصحة النفسية أو قسم ذوي الاحتياجات الخاصة.

٥- يتبع قسم الصحة النفسية بالكلية عيادة نفسية بشارع أمين سامي بالمنيل وهي أقدم عيادة نفسية بمصر يكون فيها الدور الأول للمعالج النفسي والاخصائي النفسي.

٦- أنشأ قسم علم النفس بالكلية عام ١٩٤٧ الجمعية المصرية للدراسات

النفسية وهي أقدم جمعية نفسية مهنية أُسست في الوطن العربي.

٧- يوجد بالكلية مركز للإرشاد النفسي وهو من أقدم المراكز التي تُقدم الخدمات النفسية للفئات المختلفة من الأطفال والراشدين بأجر رمزي، كما يُعقد مؤتمر سنوي يناقش القضايا المختلفة المتعلقة بعلم النفس والصحة النفسية، مما يؤدي إلى رفع الوعي المجتمعي بهذه القضايا، ويصدر عنه مجلة علمية متخصصة محكمة.

٨- مسمى الدرجة الجامعية التي يحصل عليها خريج قسم علم النفس بكلية التربية ليسانس الآداب والتربية قسم علم النفس؛ حيث يدرس الطالب جميع مواد التخصص، بالإضافة إلى المواد التربوية فيصل عدد المقررات الدراسية بالفصل الدراسي الواحد إلى ثمانية أو تسعة مقررات دراسية.

وأتساءل بعد عرض كل النقاط السابقة كيف يمكن القول بأن خريج قسم علم النفس بكلية التربية ليس متخصصًا بعلم النفس أو أنه غير كفء أو أنه اقتصر في دراسته طوال الأربع سنوات على فرع معين من أفرع علم النفس (على الرغم من دراسته لجميع المقررات التي يتم تدريسها بأقسام علم النفس بالكليات الأخرى وبالكيفية نفسها) أو يتم مساواته بخريج الكليات الأخرى غير ذات الصلة بالتخصص نهائيًّا، فهل هذا من المنطق أو الحق أو العدل في شيء؟ دفعني ما سبق إلى بلورة بعض الأفكار التي قد تساهم في حل الإشكالية الحالية بين أقسام علم النفس بالكليات المختلفة وتتجه بالقضية إلى مستوى أعلى من التجريد يؤدي إلى النهوض بتخصص علم النفس في مصر والوطن العربي إلى مرتبة أعلى مما هو عليها الآن، وآمل أن يُنظر إليها يومًا ما بشيء من الاعتبار، **أعرض هذه المقترحات فيما يلي:**

١- تغيير لائحة كلية التربية الحالية، بحيث يكون قسم علم النفس قسمًا علميًا

وليس تربويًّا لا يقبل ببرامج الدراسات العليا به غير خريجي القسم وذلك لاختلافه جوهريًا عن باقي الأقسام التربوية بالكلية كما سبق وعرضنا لذلك بالتفصيل.

٢- إذا تم تقرير أن يكون قسم علم النفس قسمًا بكليات مختلفة فيجب عندئذ وضع لوائح دقيقة تشير إلى الحدود الفارقة والفاصلة بين هذه الكليات في دراستها لذات التخصص، ويتم الإعلان عنها بشكل صريح وواضح حتى لا يتحمل الخريج تبعات أمور ليس هو المسئول عنها.

٣- أن يكون هناك إرشاد أكاديمي للطلاب بمرحلة الثانوية العامة عن الكليات المختلفة وعن الفروق بين الأقسام الواحدة في الكليات المختلفة، حتى يختار الطالب بين الفرص المتاحة أمامه عن علم ودراية وحسب رغبته وميوله وقدراته.

٤- توحيد جميع أقسام علم النفس تحت مظلة واحدة، وليكن ذلك بإنشاء كلية لعلم النفس تحتوي على الشعب المختلفة والفروع المختلفة لعلم النفس خصوصًا وقد باتت شعب علم النفس والشعب الفرعية داخل الشعبة الواحدة متعددة (كما سمعت من أ. د فؤاد أبو المكارم أستاذ علم النفس بكلية الآداب جامعة القاهرة في إحدى محاضراته)، وتُلغى أقسام علم النفس من جميع الكليات منعًا للتكرار أو عدم الموضوعية أو عدم العدل وعدم المساواة في الفرص المتاحة لخريجي نفس الأقسام في كليات مختلفة.

هناك تحديات حقيقية تواجه تخصص علم النفس وهي الأحق ببذل جهد في مواجهتها مع تغليب الدفاع عن التخصص -وليس الكلية- بدلًا من تبديد الطاقة في صراعات بين الكليات والمؤسسات، مما يتيح الفرص للنهوض بعلم

النفس وتأسيس ونشر مجالات العمل به داخل المؤسسات المختلفة، حتى تصحح الصورة الذهنية للتخصص لدى أفراد المجتمع ولا يتم الاقتصار في سوق العمل على مجال أو مجالين فقط من فروع علم النفس، وحتى يتم التصدي لمشكلة ممارسة المهن النفسية من قبل غير المتخصصين؛ وبذلك يؤدي علم النفس دوره الحقيقي في النهوض بالمجتمع ونشر الثقافة والوعي بين أفراده ومساعدتهم على تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي لهم ومن ثم رفاهيتهم النفسية.